

الخطابة والخطيب وألوان القول والكلام والأسماء التي تطلق على القائل في كل موقف من مواقف المدح أو العيب . يقول :

« وكلام الناس في طبقات ، كما أن الناس أنفسهم في طبقات ، فمن الكلام الجزل والسخيف ، والمليح والحسن ، والقبيح والسمح والخفيف والثقيل ، وكله عربي وبكل قد تكلموا ، وبكل قد تمادحوا وتعابوا . فان زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل ، ولا بينهم في ذلك تفاوت ، فلم ذكروا العيب والبكى ، والحصر والمفحم والخطل والمسهب ، والمتشدد والمتفهم ، والمهار والثرثار ، والمكثار والمهار ؟ ولم ذكروا المهجر والهذر ، والهديان والتخليط ، وقالوا : رجل تلقاعة ، وفلان يتلبيح في خطبته ، وقالوا : فلان يخطيء في جوابه ، ويحيل في كلامه ، ويناقض في خبره ، ولولا أن هذه الأمور قد تكون في بعضهم دون بعض ، لما سمي ذلك البعض البعض الآخر بهذه الأسماء » (١) .

فهذه الكلمات كما نرى مدارها جميعاً على الفن القولي وحده ، ونحن لانملك بعد هذا كله سوى نرى أن الكتابة الفنية لم تنشأ في العصر الجاهلي ، ونحن حين نقول ذلك نقوله باطمئنان دون حاجة إلى التردد على نحو ما يبدو في موقف الدكتور حسين نصار من هذه القضية ، يقول :

« وكذلك كان حال الكتابة الفنية ، إذ تباينت فيها الآراء ، واشتجرت العقول ، فمن مؤيد لوجودها ، ومن ناف لظهورها . . . فنحن إذن أمام آراء نظرية لا تسندها مواد أو وثائق تذهب بنا إلى تأييد أحد الفريقين ورفض الآخر . لكن نظرنا في أحوال العرب في جاهليتهم أدى بنا إلى القول بأن ظروف حياتهم لم تكن

---

(١) البيان والتبيين — الجزء الأول ص ١٤٤ — ١٤٥ .